﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف: 127]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

رَبْطُ التَّأَزُّمِ بين السّحَرةِ وفرعونَ، بتحريضِ حاشيتِه له على اسْتِئصالِهم

لمّا استنكف فرعونُ أنْ يُقرَّ بعجْزِه، ويعترفَ بقصورِ قُدرته، توعَّدَ موسى وقومَه – بعد ممالأة الحاشيةِ له في الباطل – بما عكسَ اللّه عليه تدبيرَه، وغلبَ عليه تقديرَه[1]، وذلك تأثُّرًا بمعجزة موسى وموعظةِ الّذين آمنوا من قومه، وثباتِهم على الحقّ، وقوّةِ حُجّتهم[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَتَذَرُ﴾: جاء معنى اللّفظة في المُعجمات العربية بمعنى التَّرْكِ، فذَرْهُ تَرْكاً، أي اترُكْهُ[3] ويذرُ فلانٌ الشّيءَ، أي: يقذفُه لقلّة اعتدادِه به، وهو التَّرْكُ؛ إذ هو مفارقةٌ للشّيء، وانفصالٌ، أو تخلٍّ عنه[4]، وكلُّ ما في القرآن منَ التّركيب فهو بمعنى (الترك)[5] الشّديد.

2) ﴿وَنَسۡتَحۡيِۦ﴾: الحاء والياء والحرف المعتل أصلان: أحدُهما خِلافُ المَوْت، وهو الحياةُ والحَيَوان، وهو ضِدُّ الموت والمَوَتان[6]، والحَيُّ من كل شَيْء: نقيضُ المَيِّت[7]، واستحييت أسيري: تركتُه حيًّا، وفي الحديث: «اقتُلوا شيوخَ المُشْرِكينَ واسْتَحْيوا شَرْخَهم»[8]، وكلُّ

(1) القشيري، لطائف الإشارات: 1/559.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/57.
(3) الخليل، العين: (وذر).
(4) الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وذر).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وذر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حيي).
(7) ابن سيده، المحكم: (حيي).
(8) أبو داود، السنن، برقم: (2670)، والترمذي، السنن: برقم: (1583)، وأحمد، المسند: برقم: (20157)، وضعَّفه الألباني، ضعيف الترمذي، برقم: (1583).

ما في القرآن منَ التّركيب هو من الحياة ضدّ الموت، عدا التّحيّةَ والحياءَ. ومنه قولُهم: يستحيون النساء، أي: يستبْقونَهنَّ أحياءَ، منَ الاستحياء: إبقاءُ الشخص حيًّا أي عدمُ قتله،[1]، وهو معنى المُفردة في الآية الكريمة.

3) ﴿قَٰهِرُونَ﴾: القاف والهاء والراء كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على غَلَبة وعُلوّ. يقال: قَهَرَه يَقهرُه قَهْرًا، والقاهرُ: الغالبُ، وهو من أسماء اللّه تعالى، فالغالب على الحقيقةِ هو اللّهُ وحْدَه سُبحانَه؛ فقد قهر وغلب عبادَه أجمعين، حتى إنَّ أعْتى الخَلْقِ يتضاءَلُ ويتلاشى أمامَ قَهرِ اللّهِ وجَبَروته، وأقْهَرَ الرَّجُل: إذا صُيِّر في حالٍ يذلُّ فيها، وقُهِر: إذا غُلِبَ[2]، وأخذَهم قَهْرًا، أي: من غير رضاهم، والقهرُ: الغلبةُ، والإذلالُ معًا والأخذُ من فوق. وأقهره: سلَّط عليه مَن يقهرُه[3]. وأمّا صِفةُ القَهرِ في الخَلقِ، فغالبًا ما تكونُ مَذمومةً؛ لقيامِها على الظُّلم والطُّغيانِ، والتسَلُّطِ على الضُّعَفاءِ والفُقَراءِ. ومعنى (القهر) في الآية المباركة فضلًا عمّا تقدَّم من معانٍ: غلبَه وأخذَهُ من فوْقُ، وسلّط عليه قوَّته فلم يكن عنده فُسْحَةُ الاختيار أو هوادتُه، فهو ينصاعُ راغمًا، للدّلالة على ما كان يفعل فرعونُ ببني إسرائيلَ، وأنّه متمكّنٌ منهم، وهم موضعُ قهرِه واحتقارِه فهم أقلُّ من أن يَهتمَّ بهم[4].

❁ المعنى الإجْماليُّ:

دورُ حَاشِيةِ السُّوءِ، وبِطانةِ الفَسادِ، في تأليبِ الحاكمِ على الظّلم

وقال جماعةٌ من أشراف قوم فرعونَ له: أتدَعُ موسى وقَوْمَهُ من بني إسرائيل أحرارًا آمنين؛ لِيُفْسِدوا رعيّتَك في أرض مصرَ، بدعوتِهم إلى عبادة ربّهم دونَك، وإدخالِهم في دينهم، أو جعْلِهم

(1) كما ورد في القرآن الكريم في سور: البقرة: 49، والأعراف: 127، 141، وإبراهيم: 6، والقصص: 4، وغافر: 25، ويُنظر: الراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (حيي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قهر).
(3) الفراهيدي، العين، والرّاغب، المفردات: (قهر).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قهر).

تحت سلطتِهم ورياستِهم، وتتركُه يرفضُ آلهتَك فلا يعبدُك ولا يعبدُها؟ فأجابهم فرعونُ بقوله: إنّما يتقوّى موسى بقومه، فنحن نسعَى في تقليل عدد قومِه بقتل الرجال، وإبقاءِ النّساء على قيد الحياة؛ لتقلَّ شوكتُه، ثم بيَّن فرعونُ - لحاشيته المُنتفعةِ - أنّه قادرٌ على ذلك بالقُدرة، والتسلّطِ[1]، مُسْتَعْلٍ عليهم بالغلبةِ، والسّلطانِ، قاهرٌ لهم كما كان من قبلُ، فلا يستطيعون إفسادًا في أرضنا، ولا خروجًا من حظيرة تعبيدنا[2].

وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى أنَّ بطانةَ السّوء للملوكِ أصلُ الفساد، ومبدأُ الخراب، ببثِّ الفتنة، وتزيينِ أعمالِ ملوكهم، وتغطيتِهم عيوبَهم، وغايتُهم تنفيذُ مآربِهم، وتحقيقُ مصالحِهم، والحرصُ على منافعهم، وفيها تصويرٌ لتمادي الظّلمةِ في غيِّهم، وإصرارِهم على باطلِهم بإظهار شدّةِ بطشِهم، وعظيمِ قهرهم، حين تُصَمُّ الآذانُ عن سماع قولِ الصّدقِ، والإذعانِ الى منطق الحقِّ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

العُدولُ عنِ الفصْلِ إلى الوصْلِ في السِّياقِ:

الإيذانُ بالخُروجِ مـنَ المُـحـاوَرة، اشتكمالًا لِما وقعَ من مُناوَرةٍ

الواو عاطفةٌ، وجملةُ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ عطفٌ على جملة: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾، أو على جملة: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأعراف: 109]، وإنما عُطفت ولم تُفصلْ؛ لأنها خارجةٌ عنِ المحاوَرة التي بين فرعونَ ومن آمن من قومِه بموسى وآياتِه؛ لأنّ أولئك لم يعرّجوا على ذكر ملأ فرعونَ، بل هي محاورة بين ملأ فرعون وبينَه في وقتٍ غيرِ وقت المحاورة التي جرت بين فرعون والسّحرةِ، فإنّهم لمّا رأوا قلّةَ اكتراث المؤمنين بوعيد فرعونَ، ورأوا نهوضَ حُجّتهم على فرعونَ وإفحامِه، وأنه لم

(1) الخازن، لباب التأويل: 2/237 - 2/238، ومحمد رضا، تفسير المنار: 9/69.
(2) رضا، تفسير المنار: 9/70.

يَحِرّ جوابًا، راموا إيقاظَ ذهنِه، وإسعارَ حميّته، فجاؤوا بهذا الكلام المثيرِ لغضب فرعونَ، ولعلّهم رأوا منه تأثّرًا بمعجزة موسى وموعظةِ الذين آمنوا من قومه، وثباتِهم على الحق، وقوّةِ حُجّتهم[1].

نُكتةُ (أل) في تعريفِ ﴿ٱلْمَلَأُ﴾:

مَنعُ الإلباسِ، والتّعريضُ بحالِهم، لِبيانِ خُطورةِ مقالِهم

(أل) في ﴿ٱلْمَلَأُ﴾ عهديَّةٌ، وأكَّد تعريفَهم بالجملة الحالية ﴿مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾؛ لكي لا يلتبسَ بعموم الملأ الحاضرين، أو أنَّ منَ الملأ من صار إلى صفِّ موسى ﷺ، وفيه تعريضٌ بحالهم: أنّهم تبعٌ للباطل.

بَلاغةُ التَّعْبير بالاستفهام، في ثنايَا الكلامِ:

فَحْوَى كلامِ الملأِ التّحريضُ على إهلاكِ موسَى وقومِه كافّةً

الاستفهامُ في قوله: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾ مستعملٌ في الإغراء، والتّحريضِ بإهلاك موسى وقومِه، والإنكارِ على الإبطاء بإتلافِهم، حتى لا يكونَ لهم خروجٌ عن دين فرعونَ، والمقصودُ بقومه مَن اتّبعه من بني إسرائيل، فيكونُ الاستفهامُ على هذا استفهامَ إنكارٍ، وتعجّبٍ، أو: هو استخبارٌ، والغرضُ منه أن يعلموا ما في قلبِ فرعونَ من موسى ومنْ آمن به[2]، وفيه أيضًا تعريضٌ بوجوبِ التّعقّبِ، والاستئصالِ[3].

نُكتةُ إسْنادِ فعْلِ التّركِ ﴿أَتَذَرُ﴾ واقعًا على موسَى:

الإشارةُ إلى أنّ موسَى ﷺ، سببُ هِدايةِ قومِه وتَحرُّرِهم

وقولُه: ﴿مُوسَىٰ﴾ مفعول ﴿أَتَذَرُ﴾، أي: تتركُه للإفساد ولا تأخذُ على يده، وأسندَ فعلَ التّرك إلى موسى ﷺ، مُظهرًا إيّاه مع أنّه لم يكن يعبدُ فرعون من قبلُ؛ لأنّه هو سببُه، والمقصودُ بذلك مَنْ كفرَ بفرعونَ، وآمن باللّه[4].

وَجْهُ ذكْرِ أشرافِ قومِ فرعونَ اسمَ (موسى) مُجَرّدًا:

تجريدُ التّسْميةِ غرضُه التّحقيرُ والتّنقيصُ من شأنِه

أورد أشرافُ قومِ فرعون – في سياق ما ظاهرُه النُّصحُ والمشورةُ له – اسمَ (موسى) ﷺ مجرّدًا من أيّ لقبٍ بقصْدِ التّحقيرِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/57.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/366، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/58.
(3) الإندونيسّي، الشامل في بلاغة القرآن: 1/419.
(4) قباوة، المفصّل، ص: 590.

والاستهزاءِ والتّنقيصِ من شأنِه ومنزلتِه، وإظهارِ الاستغناءِ عنه، وعدمِ الاعتبار له. فلم يسمّوه برسول اللّه، أو نبيِّ اللّه، أو حتى ساحرٍ أو كاذبٍ، بل ذكروه باسمه المجرّد فقط، دون أيِّ صفة تدلُّ على شرفِه أو عيبِه، وكان هذا من طريقة فرعونَ وأتباعِه في التّعاملِ مع موسى عليه السلام، فكثيرًا ما نادَوْه باسمِه فحسبُ، كما في قولِه تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾﴾ [الإسراء: 101]، وقوله: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [طه: 49]، وقوله: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾﴾ [طه: 57]، ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: 38]، ونحوها.

نُكتةُ التَّعْبير باللّامِ على طريقِ المَجازِ:

بالغُوا في الافْتراءِ، بجَعْلِ تركِ موسَى وقومِه لِعلّةِ الفسَادِ

قومُ موسى هم من آمن به، وأولئك هم بنو إسرائيل كلّهم ومن آمن منَ القِبط. واللام في قوله: ﴿لِيُفْسِدُوا۟﴾ لامُ التّعليل، وهو مبالغةٌ في الإنكار، إذ جعلوا تركَ موسى وقومِه مُعلّلا بالفساد، وهذه اللّام تسمّى لامَ العاقبة، وليست العاقبةُ معنىً من معاني اللام حقيقةً ولكنّها مجاز؛ شبّه الحاصلَ عقِبَ الفعل لا محالةَ بالغرض الذي يُفعلُ الفعلُ لتحصيله، واستُعيرَ لذلك المعنى حرفُ اللام عوضًا عن فاء التّعقيب كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8]، والإفسادُ عندهم هو إبطالُ أصولِ ديانتهم وما ينشأُ عن ذلك من تفريق الجماعةِ، وحثِّ بني إسرائيلَ على الحرية، ومغادرةِ أرض الاستعبادِ[1].

سِرُّ حذْفِ مفعولِ الإفسادِ، في قوله تعالى: ﴿لِيُفْسِدُوا۟﴾:

قد لا يُذكرُ المفعولُ به؛ للتّعميمِ أو إنزالِه مَنزلةَ اللّازمِ

والمرادُ بالإفساد ما يشملُ الدّينيَّ والدُّنيويَّ، ومفعولُ الفعل محذوفٌ للتّعميم، أو أنّه منزّلٌ منزلةَ اللّازم، أو يقدّرُ (يفسدوا): بدعائِهم النّاسَ إلى مخالفة فرعونَ وتركِ عبادتِه، أو الخوفِ من

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/58.

أن يقتلوا أبناءَ القِبط ويستحْيوا نساءَهم على سبيل المُقاصّةِ منهم، كما فعلوا هم ببني إسرائيلَ[1].

دَلالةُ (أل) التّعريفِ، في لفْظِ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

(أل) في قوله: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ عهديّةٌ حضوريّةٌ، وهي مِصْرُ مملكةُ فرعون، وموطنُ سُكنى بني اسرائيل، ومحلُّ إقامتِهم[2]، فهي من إطلاق العامِّ المرادِ به الخصوصُ.

الأرضُ المعهودةُ، من إطلاقِ العامِّ المرادِ به الخُصوصُ

تَوجِيهُ دَلالاتِ الفعْلِ ﴿وَيَذَرَكَ﴾:

قوله: ﴿وَيَذَرَكَ﴾ عطفٌ على ﴿لِيُفْسِدُواْ﴾ فهو داخلٌ في التّعليل المجازيِّ؛ لأنّ هذا حاصلٌ في بقائِهم دون شكٍّ، ومعنى تركِهم فرعونَ، تركُهم تأليهَه وتعظيمَه، ومعنى تركِ آلهتِه نبذُهم عبادتَها ونهيُهمُ النّاسَ عن عبادتِها[3]، وهو إغراءٌ منَ الملأ لفرعونَ على موسى، وإنكارٌ أن يتركه مُقيمًا على مخالفتِه، والواوُ في قوله: ﴿وَيَذَرَكَ﴾: نائبةٌ عنِ الفاء، ونُصِبَ على جواب الاستفهامِ بالواو، والنَّصبُ بإضمار (أن) تقديره: أيكون منك تركُ موسى، ويكونُ تركُه إياك وآلهتَك[4]، أو عطفٌ على ﴿لِيُفْسِدُواْ﴾؛ لأنه إذا تركهم ولم يمنعْهم، وكان ذلك مؤدّيًا إلى ما دعوْه فسادًا وإلى تركِه وتركِ آلهته، فكأنّه تركَهم لذلك. وفيه إشارةٌ منَ الملأ إلى تخويف فرعونَ منِ انفضاضِ النّاس من حولِه، وسلْبِ مُلكِه.

أغْرَى الملأُ فرعونَ، وأنكرُوا تركَ موسى على تمرُّدِه

بَلاغةُ ائْتلافِ اللّفظِ مع المعنى في التَّعْبير بالفعْلِ (يذرُ):

بَلاغةُ ائْتلافِ اللّفظِ مع المعنى[5]، منَ الصّور البلاغيّةِ المندرجة

الفعْلُ (يذر) منَ الأفعالِ القُرآنيّةِ المُفْصِحةِ عن دَلالتِها بدِقّةٍ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/366، والآلوسي، روح المعاني: 9/28 - 29.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/58.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/58.
(4) الواحدي، التفسير الوسيط: 2/396.
(5) ائتلاف اللفظ مع المعنى، أو موافقة اللفظ للمعنى، ويسمّى النّظمَ: وهو أن تكون الألفاظ موافقةً للمعاني، ولائقةً لمقصود الكلام، فتختارُ الألفاظُ الجَزلة والعباراتُ الشديدة للفخر والحماسة، وتُختار الكلماتُ الرقيقة والعبارات اللّينة للغزل ونحوه. يُنظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص: 319.

تحت المحسّنات المعنويّةِ، فقال هنا (يذرُ) ولم يقل (يدعُ)؛ لأنّ الأوّل يُستعملُ في مقام التّهديد والوعيد، لما فيه من معنى الدّفع والقذفِ، أمّا الثّاني فيُستعملُ في مقام الكُره والبغضِ، لما فيه من معنى التّوديع.

وَجْهُ القِراءاتِ القُرآنيّةِ في ﴿وَيَذَرَكَ﴾:

تَلوُّنُ الدّلالةِ في هـذه الجُملةِ، بتَلَوُّنِ التّأويلِ المُستفادِ

قُرئ: (ويذرُك) بالرفع عطفًا على ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ﴾، بمعنى: أتذرُه، وأيذرُك، يعنى: تُطلقُ له ذلك، أو يكونُ استئنافًا، والجملةُ على تقدير الاستئناف معترضةٌ مؤكّدةٌ لمعنى ما سبق، أي: تذرُه وعادتُه تركُك، ولابدّ من تقدير (هو)، كما في احتمال الحال ليدلَّ على الدّوام، أو حالًا على معنى: أتذرُه وهو يذرُك وآلهتَك. وقُرئ: (ويذرَك) بالجزم، كأنه قيل: (يفسدوا، ويذرَك)، كقوله تعالى: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾. وقُرئ: (ونذرَك)، بالنون والنّصب، أي: يصرفُنا عن عبادتك فنذرُها[1].

دَلالةُ تَقديمِ فعْلِ ﴿لِيُفْسِدُواْ﴾ على ﴿وَيَذَرَكَ﴾:

تَغليبُ العِلّةِ العامّةِ على الخاصّةِ، من بيانِ هذه الآيةِ

المرادُ البدءُ بالعلّة العامّة وهي الإفسادُ، ثم أتبعوها بالخاصّة ليدلّوا على أنَّ ذلك التّركَ من فرعونَ لموسى وقومِه هو أيضًا يؤولُ إلى شيءٍ يختصُّ بفرعون، قدحوا بذلك غيظًا من موسى وقومِه، ليكونَ ذلك أبقَى عليهم؛ إذ هم الأشرافُ وبتركِ موسى وقومِه بمصر يذهبُ ملكُهم وشرفُهم[2].

نُكتةُ جمْعِ ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾:

تَعـدُّدُ الآلـهـةِ مَـلـحـوظٌ، في مختلفِ العُصورِ والأقطَارِ

و(الآلهة) جمع إله، ووزنُه على (أفْعِلَة)، وكان القِبْطُ مشركين يعبدون آلهةً متنوّعةً منَ الكواكب والعناصرِ، وصوَّروا لها صورًا

(1) وهذه القراءات الثّلاث المذكورة من القراءات الشاذّة، ولم يُقرأ في المتواتر إلاّ بالياء والنّصب. يُنظر: ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/441، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/142 - 143، والآلوسي، روح المعاني: 9/29.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/367.

عديدةً مختلفةً باختلاف العصورِ والأقطار[1]. فقولُه: ﴿وَءَالِهَتَكَۚ﴾ معبوداتُك، والظّاهرُ أنّ فرعونَ كان له آلهةٌ يعبدُها، أو أنَّ الإضافةَ هي على معنى أنّه شرع لهم عبادةَ آلهةٍ، وجعل نفسَه الإلهَ الأعلى، فقوله على هذا: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النّازعات: 24]، إنّما هو بمناسبةٍ بينَه وبين سواه منَ المعبودات[2].

دَلالةُ تَوجِيهِ القراءةِ، في قولِه تعالى: ﴿وَءَالِهَتَكَۚ﴾:

تناوُبُ المعنى بين عبادةِ النّاسِ فرعونَ، أو ما يَعبدُه فرعونُ

وقُرئ في الشاذِّ: (إلاهَتَكَ) أي عبادتَك، والتّذلّلَ لك[3]. وفُسِّرَ ذلك بأمرين، أحدُهما: أنَّ المعنى وعبادتَك، فيكونُ إذ ذاك مصدرًا، قال ابنُ عبّاس: "كان فرعون يُعبَدُ ولا يَعبُد"، والآخرُ: أنَّ المعنى: ومعبودَك، وهي الشَّمسُ التي كان يعبدُها، والشّمس تمسي إلاهَةً علمًا عليها ممنوعةَ الصرف[4].

سِرُّ تناوبِ استعمالِ الفعلَيْن، على طريقةِ المُشاكلةِ، والجناسِ التّامِّ:

من بديعِ نظْمِ القرآن وتناسُقِ ألفاظِه، ما يُؤكِّدُ إعجازَه

في قولِه تعالى ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ فنُّ المشاكلة[5]؛ إذ إنَّ استعمالَ الفعل (تذرُ) بالنّسبة لفرعون فإنّه يعني التّواني عن عقاب موسى، وأمّا استعمال الفعل (يذرَ) بالنّسبة لموسى فإنه يعني التَّخلّي عن فرعون، وآلهته ليعبُد اللّه إلهًا واحدًا[6]، وهو جناس تامّ مماثل، تطابقَ فيه اللّفظان، واختلف المعنَيان.

فائِدةُ السّين، وتشْديدِ فعْلِ القتلِ ﴿سَنُقَتِّلُ﴾:

السّين في ﴿سَنُقَتِّلُ﴾ حرفُ تسويفٍ يفيدُ توكيدَ وقوعِ الفعل، وقُرئ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/58.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/367.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/441.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/367.
(5) المشاكلة: هي أن تذكرَ الشيّءَ بلفظ غيره لوقوعه في صحبته. يُنظر: مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيّة، ص: 621.
(6) الإندونيسّي، الشّامل في بلاغة القرآن: 1/419.

تَوكيدُ الفعْلِ، مع التَّـنزوعِ إلى المُبالغةِ وشِـدَّةِ الإجراءِ

المضارعُ (سَنَقْتُلُ) بالتّخفيف، وهي قراءةُ المدنيين، وابنِ كثير بفتح النون، وإسكانِ القاف وضمّ التّاء من غير تشديد، وقرأ الباقون ﴿سَنُقَتِّلُ﴾ بضمّ النّون وفتح القاف وكسر التاء وتشديدِها[1] على المبالغةِ في القتل مبالغةَ كَثْرةٍ، واستيعابٍ، وتدريجٍ متجدّدٍ. والمعنى: سنستمرُّ على ما كنّا عليه من تعذيبِهم وتقطيعِهم، وتقتيلِهم ما تناسلوا[2]، ونتعقّبُهم أين ما حلّوا كما كنّا نفعلُ من قبل؛ ليُعلمَ أنّا على ما كنّا عليه منَ القهرِ والغلبةِ، ولا يُتوهّم أنّه المولودُ الذي حكمَ المنجّمون، والكهنةُ بذهاب مُلكنا على يده[3]، وليُقتلَ رهطُه الذين يقع الإفسادُ بواسِطتهم. وإنّما لم يعاجلَ موسى وقومَه بالقتال؛ لأنّه كان مُلِيءَ من موسى رُعبًا[4].

وهذه الآية الكريمة تدلُّ على أنَّ فرعونَ ذبح أولادَ بني إسرائيل تذبيحتين:

التَّذبيحةُ الأولى: التي كانت سببًا لجعْلِ أمِّ موسى موسَى في التّابوت، كما هو مفصّلٌ في سور من كتاب الله، حيث قال لها: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾ [القصص: 7]، وخوفُها عليه، أي: من قتل فرعونَ للأولاد؛ حذرًا منه من ذلك الغلام الذي سيزول ملكُه على يديه.

وتذبيحُ الأولاد الثّاني: هو بعد أن جاءهم موسى نبيًّا من الله، كما صرَّح الله به هنا، وأوضحه في سورة غافر في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: 25][5].

(1) ابن الجزريّ، النّشر: 2/271.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/441.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/29.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/367.
(5) الشّنقيطيّ، العذب النّمير: 4/99.

إيثارُ لفْظِ ﴿أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ على لفْظِ (رِجَالَهُمْ):

لفْظُ (الأَبْنَاءِ) يَشملُ من كان مولودًا منَ الذّكورِ، ومن سيُولدُ منهم

المرادُ بالأبناء الرّجالُ بقرينة مقابلتِه بالنّساء، والضّميرُ المضافُ إليه عائدٌ على موسى وقومِه، فالإضافةُ على معنى (من) التّبعيضيّة[1]، والتّعبير بـ"الأبناء" فيه عمومٌ في اللفظ؛ ليشملَ من كان مولودًا منَ الذّكور، ومن سيولدُ منهم، وهو يقصدُ الإفناءَ والإبادةَ والتّطهيرَ العِرقي للنَّسْلِ الإسرائيليّ.

قال الرّازيُّ: "اتَّفَقَ المفسِّرون على أنَّ هذا التّهديدَ وقعَ في غيرِ الزَّمانِ الأوَّلِ"[2]. ويعني بالزَّمانِ الأوَّلِ: زمنَ ولادةِ موسى عليه السلام، وإنّما عدلَ عن قتل موسى إلى قتل الأبناء؛ لعلْمِه أنّه لا يقدرُ عليه[3].

التّعبيرُ عن فعْلِ ﴿وَنَسۡتَحۡيِۦ﴾، على طريقِ المبالغةِ والتّنْميمِ:

بَالَغُوا في اسْتِبقاءِ النِّساءِ؛ للخدمةِ، وللتّسرِّي بهنّ

والاستحياءُ مبالغةٌ في الإحياء، فالسّين والتّاء فيه للمبالغةِ، وإخبارُه مَلَأَهُ باستحياء النّساء تنميمٌ لا أثرَ له في إجابة مقترح مَلَئِه؛ لأنّهم اقترحوا عليه أن لا يُبقيَ موسى عليه السلام وقومَه، فأجابَهم بما عزمَ عليه في هذا الشأن، والغرضُ منِ استبقاء النّساء أن يتخذوهنّ سراريَ وخدمًا[4].

بَلاغةُ أُسلوبِ الطِّباقِ، والأُسلوبِ الحكيمِ:

الدَّلالةُ على ذِلّةِ بني إسرائيلَ، وعدَمِ يقينِهم بأنّ موسَى موعودٌ به

في قولِه تعالى: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ وقولِه: ﴿وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ﴾ طباقُ إيجابٍ بين (نقتّل)، و(نستحيي)، يُفصحُ عن دلالة الرّبطِ المؤدّي إلى مزيدِ إيضاحِ المعنى، وبيانِه. وقوله: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ﴾ منَ الأسلوب الحكيم، وإن صدر منَ الأحمق؛ لأنّ الجوابَ المطابقَ للملأ عن قولهم: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ﴾: إنّا سنقتلُه وقومَه، ونسبي ذراريَهم. ولو أتى بهذا الجواب لظهرَ عجزُه لبني

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/59.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/342.
(3) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/146.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/59.

إسرائيل؛ لأنّه إذا ترك قتلَ الأبناء، وشرعَ في قتلِ الرّجال، لتوُهِّمَ أنّ ذلك للخوف منهم، وأنّ موسى ﷺ هو الموعودُ، فلمّا صرح بالعَوْدِ إلى ما كانوا عليه منَ القهر: بإبقاءِ الرّجال، وقتلِ الأولاد، واستحياءِ النساء، دلَّ على ذلّةِ بني إسرائيل، وأنّ موسى ﷺ غيرُ الموعودِ به. يعني: لا تلتفتوا إليه أيّها القِبطُ، وداوموا على ما كنتم عليه من قتل الأولاد، واستحياءِ النّساء، ولا تعتمدوا عليه، يا بَني إسرائيلَ، ولا تعتضدوا به، فأنتم بعدُ أذلّاءُ مقهورون[1].

مجيءُ الأفعالِ على صِيغةِ المضارع:

أدامَ عليهمُ العذابَ، بتَجدُّدِ فعْلِهم، واستمرارِ غَيِّهم

وعبّر عن أفعال العقوبةِ بالمضارع على إرادة تجديدِ الفعل، وإدامتِه، ومن ثمَّ ديمومةُ العقاب، وقدّمَ فعلَ التّقتيلِ على الاستحياءِ لأولويّتِه، وأهمّيتِه عنده بوصفِ الرّجال مصدرَ الخطورة، ومنبعَ التّهديد.

تَوجِيهُ التّذييلِ في مُختتَمِ الآيةِ:

أوهمَ فرعونُ قومَه، أنّه لم يُعاقبْ موسَى لعدَمِ خوْفِه منه

الجملةُ الاسميّةُ ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَهِرُونَ﴾ كالتّذييل، لما قبْلَها[2]، ويُراد بها المنزلةُ والتَّمكّنُ منَ الدُّنيا، و﴿قَهِرُونَ﴾ يقتضي تحقيرَ أمرهم، أي: هم أقلُّ من أن أهتمَّ بهم[3]، كأنّه يوهمُ قومَه أنّه إنّما لم يحبس موسى ﷺ ولم يمنعْه لعدمِ التفاتِه إليه، ولعدمِ خوفِه منه[4]، فغلبتُه لا أثرَ لها في مُلكنا واستيلائِنا، ولئلّا يتوهّمَ العامّةُ أنّه المولودُ الذي تحدَّث المنجّمون عنه بذهابِ مُلكنا على يده، فيُثبّطَهم ذلك عن طاعتنا ويَدعوهم إلى اتّباعِه[5].

سِرُّ التّوكيدِ في الفاصلةِ، في هذه الآيةِ:

أكّد الجملةَ بـ(إنّ) وأضافَه إلى ضميره (نا) على طريق العظمةِ،

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/521.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/521.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/441.
(4) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/173.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/367.

مُلمحًا باستطاعته، وتمكّنه، وأتى بفعل القهْرِ على صيغة اسم الفاعل للتّعبير عن تحقُّقِ الحدثِ، وتمثّله فيه وصْفًا لازمًا، ورسّخ هذا الثّبوتَ واللّزومَ صيغةُ الجملةِ الاسميّةِ؛ ليكونَ ذلك اعتذارًا منه لملَئِه عن إبطائِه باستئصال موسى وقومِه؛ بثًّا للطّمأنينة في قلوبهم، وشفاءً لِما في صدورِهم من أحقادٍ، وضغائنَ على موسى ومن معه.

اجْتِماعُ المؤكِّداتِ، اعتذارٌ من فرعونَ عن إبطائِه باستئصالِ موسَى

بَلاغةُ الاسْتِعارةِ في الفاصلةِ:

قولُه تعالى: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ مستعملٌ مجازًا في التّمكّنِ منَ الشّيء، فهي فوقيّةٌ مجازيةٌ وليست حقيقيةً، فهي مستعارةٌ لاستطاعةِ قهْرِهم؛ لأنَّ الاعتلاءَ على الشّيء أقوى أحوالِ التّمكّن من قهْرِه، فهي استعارةٌ تمثيليةٌ[1]، أوِ استعارةٌ تبعيّةٌ؛ إذ شبّهَ فوقيّةَ المكانةِ بفوقيّةِ المكان بجامعِ العُلوّ[2].

التَّعْبيرُ بالفَوقيّةِ عنِ الاستطاعةِ، وقُوّةِ التّسلُّطِ، والقَهْرِ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(يذَرُ)، و(يدَعُ)، و(يترُكُ):

التّوديعُ: تركُ النّفس عنِ المجاهدة، وفلانٌ في دَعةٍ: إذا كان في خفضِ عيْشٍ، وأصلُه منَ التّرك، ومنَ الدَّعة، بحيث تركَ السّعيَ لطلب معاشِه لغناءٍ، وعُبِّر عنِ التّرك به في قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضّحى: 3]، كقولك: ودّعت فلانًا، نحو: خلّيتُه. وتركُ الشّيءِ: رفضُه قصدًا واختيارًا، أو قهرًا واضطرارًا[3]، ويذرُ فلانٌ الشّيءَ، أي: يَقذفُه لقلّة اعتدادِه به، وهو التَّرْكُ؛ إذ هو مفارقةٌ للشّيء، وانفصالٌ، أو تخلٍّ عنه[4]، وهو أنسبُ لكمال مفارقةِ موسى عليه السلام لفرعونَ.

يُزاد على ذلك: أنَّ (يذرُ) يُستعملُ في مقام التّهديد والوعيدِ،

يـذَرُ بمعنى يُفارقُ أو ينفصلُ أو يتخلَّى، وهو هنا آثرُ منَ اللّفظَيْن الآخَرَيْن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/59، والمطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/403.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/403.
(3) الراغب، المفردات: (ودع)، و(ترك).
(4) الراغب، المفردات، وجبل المعجم الاشتقاقي المؤصل: (وذر).

لما فيه من معنى الدّفع والقذفِ، أمّا (يدعُ) فيُستعملُ في مقام الكُره والبُغض، لما فيه من معنى التّوديع. فتأمّل معنى الأوّل في قولِه تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الطور: 45] وتأمّلْ معنى الثاني في قولِه تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الضحى: 3] والتّشديد فيه للمبالغة؛ لأنّ من ودّعك مفارقًا، فقد بالغ في تركك[1].

(1) أحمد الأمير جاهين، من صور البلاغة القرآنية في سورة الأعراف، بحث منشور - كلية الدراسات الإسلامية بأسوان، العدد الثاني، 2019م، ص: 163.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»